

للنوارس موت آخر

شعر

إبراهيم منصور


الهيئة العامة
لقصور الثقافة

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إبداعات / (أسبوعية) / العدد : ١١٢
للنوارس موت آخر / شعر / إبراهيم منصور
الطبعة الأولى / إبريل ٢٠٠٠

المراسلات : باسم رئيس التحرير
على العنوان التالى ١٦ أ ش أمين سامى - القصر العينى
رقم بريدى : ١١٥٦١

إهـــداء

إلى أمى ..

إليها بنبض القلب، جبراً لخاطر أيامها

وبسمة على شفاه أحلامها، واعترافاً

بجميل لا يزال يثمر رغم السنين

– إبراهيم –

اختناق القمر

لم يختنق قمر على سطح البيوت
ولا حملنا آلة الدق القديمة
كى ننادى الحور يطلقن الضياء ..
على مساكن أهلنا
لكنها اختنقت ...
وليس لها حواريون ...
من حور السماء
فكيف أبدأ ممسكاً بالثلج قلبى ..؟
والمياه على مشارف مقلتى تربو
لأغرق مركبى فى داخلى
وأسوح فى الشط المقابل لانتهائى
ربما أنحو على درب التهجد
- ساعةً -

فأصير صلداً

لا تباشرنى النجوم سوى ملاذ ...

من حريق الأرض ..

لما يصرخ الأطفال فى وجه الأمير :

"لنا التشرد ...

والقدور مليئة بالدمع نطبخه ..

فيها نملأ الأحشاء جوعاً"

: كان لى فى الحلم سجناً

يجمع الأطياف من ظل الظلال

- كذا يقول كبيرهم - وأتم :

لوّن سجننا الأحبابُ

بالبلد التى كانت تهيم على أراضينا

فدقت بيننا عطراً قديماً ... واختفت

ليكن دمى مهراً .. ونهراً ..

وانهياراً من علٍ

فوق اصطخاب البار بالسكرى

إذا شربوا الثمالة جدولاً

ثم امتطوا فرساً يسيل على عروق الأولياء ...

قيامة .. - ليست هى الأخرى -

فدقوا فى رماد القلب أوتاداً ...

تثبته على ماءٍ غليظٍ

واستحموا ...

بارتداد الناس

فى عام الرمادة ...

للنخيل ...

غربة

غريبين صرنا ...

وكنا نعجل حسر المياه عن الرأس ..

إن جاء طوفاننا.

ونأوى إلى جبل سوف يعصمنا

من عيون الذين علوا .. فوق متن السفينة ...

يوماً .. ونمضى

على قدر من لقاء

نوشوش شرفتنا من بعيد

فتذرو دفاترنا ...

فى الهواء الذى أغرق الماء أطرافه

ونبارك موت الرفاق ...

كذا قد حلمنا:

تصيرين لى وردة فى الأقاصى

فأقطف كل المسافات سعياً إليك ...

زجاج المرايا عميق كعينيك ... والصمت ممشى

فشقى الغبار، الضباب، المياه ...

وكونى غربتهم ..

هنا نلتقى ...

عرفات يزاحم سيرى وسيرك حتى نعود

نقاسم جيراننا السعى فوق المياه

وكان لنا عرشنا .. فارفعى طرف ثوبك

حتى أبرهن أن قوائم عرشك ثابتة ..

مثل قلبى

وطوفى على أمة من هداهدَ

جاءت مسومة للممالك

منذ انحنى من لواء المدى

فطفا فوق سحب قصيرة

مفارقة ... والمعزون جاء وا فرادى

يشقون قلب المدينة وهى تنام

ألا أيهـــــا القـلـب غـنِّ   بلحن ســـريع التـــجـنىِّ
وســبح بحــمـد الضـيـاء   وعـلم هـوايـا الـتــــمنى
فـــفى النـار قلبى فـــتـيـل   وفى الصبح قد ضعت منى ..

كم الساعة - الآن - يا سيدى ؟

وكم مر من عمرنا ...

منذ كنا جديرين بالمستحيل

نطالع سفر النجوم

فتنصت - مطفأةً -

لنعيش قريبين منها ؟

لماذا نعيش غريبين ..

والأمس كنا كذلك ؟!...

من سرير الأرض

كان القطار يراود القضبان ...

عن نوم طويلَ

والمساءُ يلف ثغر بيوتنا

بعباءة سوداء من حرش الفراق

طويلة تلك الليالى ..

أذكر الآن انتباهى للدجى

حين استعرت سيوف "دون كيشوت"

ورحت أصانع الحيطان فى سأمٍ ...

لكى ما أبصر التاريخ يعبث فى البناء

وأسكب الأفراح فى نفسى

لعلى أبلغ السقف الذى ...

يحنى بعيضاً من هوامٍ

بلّها الحبر المقلب فى الندى

بين العروق وبين أصحاب الرقيم تشابهٌ ...

مازلت أجهد خاطرى كى أذكره

وبصورة لمت حطام الليل بين أب وأم ...

تعبث الأحزان فى أوراقها

وتآكلت - من قبل - أحرفها

وذابت فى الشتاء شوارب البعل المنمقة التى ...

صالت عليها حدأة الزمن الرميم

وصادقتها عثة الأوراق

فالتهمت ستائرها

وأذكر أننى أغمضت عينى كى أصد النور عنها

فاصطفتنى الربة الحسناء مولى

يغمض العينين حين يجيئه...

أنصاف سكرى ...

عاريات

يدخل الأحلام فى طىّ اللحاف ...

ينام نوما خاطفاً

ويقوم يبحث عن طفولة وحيه

فتموت فى شفتيه ألوان الحروف

ويعلن الملأ الحداد

على فقيد

كان يحلم أن ينام ...

مدداً قدميه

فى وجه القصيدة.

انشغال

جوع يعربد فى الحشا

كيف القلوب تمنعت

فى عريها أن تنحنى

وتسبح الوطن الغريب ذليلة

إنى لتنشدنى الضوارى ...

إن سبحت بغابة الشوك

انفلاتا من ورود تكونى

عجباً لوجهى ... يا أنا !!!

كيف احتملت - معانداً - وجها وحيداً ..

يرتدى ثوب الشتاء بمثل ثوب الصيف ..

- يالبجاحتى -

ما عاد يشغلنى بكاء حبيبة

تستقسم الأزلام فى ...

رجع الهيام

تمطر الحب ابتساما زائفا ..

ما عاد يشغلنى سواد جفونها

أو صرخة فى قلبها

للنوم أسباب تعاند جفننا - كنا -

سيشغلنى لماذا كنت أسجننى

وأشعل فى هواها مقلتى

قسَّمت بينى بيننا

شدَّت فتيل الشوق قبل أوانه

رمضاء كانت فى المساء

يزودها صهد التعلل

بالشبق

شبع يزمجر فى الحشا

هل عاد يشغلنى رغيف

يشطر الجوع

انتصاف غيابه ؟ .

نزال

للأمل ارتسام ..

قلبنا

سهماه في حرفي هواك مصوَّبان

فهل تعيد حسابها ؟

"أبريل" ...

هل يمتاز منك بميزة

تعطيك حق البدء

إن عزت الطريق موشحا ...

تعطيك معنى ...

لارتطام الأرض

بالثوب الحرام

إذا أردت تطهراً ...

والشوق مسبحة

يخلخلها طويل تطلعي

نحو التحّدر ...

والتحضر للنزال شريعة

يهوى سواى إقامة لحدودها

قنديل حجرتك

انتمي للفجر

فاخلع قلبنا جنباً

وباشر ...

صحوة البحر

النؤوم

فربما صفة الطلول

يزيحها

مرآك فى ثوب جديدٍ

طوله :

الشوق الموشى بالهواء ...

وعرضه ..

ما بين وحدى ...

والأنا ..

فى السوق

١ - رخاء

قد تأخذ أمى بعض دواوينى بجوار الفرش بسوق (أبى قير)، وتبيع الجبن بأوراق الشعر الثكلى. الجبن اليوم شديد بياض الوجه، ولكن سوق الجبن بطىء فى الصيف. فأسأل أمى مسألة الأبناء إذا شبوا عن طور الصدر، فينهد صدر بقماش معروق.

تنقدنى بعض جنيهات، فألم الحسرة من ثغرى، وألملم باقى أشعارى من دنّ الجبن، وأذهب للبحر وما يرغو. ينقدنى الآخر شعراً. يكتبنى فى ديوان. تنتظر الأم مجيئى كى تأخذه، وتبيع الجبن بأوراقى .

٢ - كساد

حين يجنُّ الليل يقوم الصيادون من النوم النارى، و يبدأ سيدهم بالبحث عن الأحلام لأبناء المهنة فى السوق، والسوق

الليلـة بردان. يلبس ليلـيـات فــوق أديم يبلى من نخـــر الماء. كل الألوان - الليلة - تزهو بالفاخ فيهـا. فالليلة - فى مثل الموعد من عام - قامت بشجار والقمر الساكن فى ثغر الدنيا .

البدر عـميق لا ينسى ويغيب كـثيراً عن ليـلات مثل الليلة. يزداد البرد ولا مدٌّ أو جزر تلك الليلة ... تخـرج أسماك البحر إلى الســوق مـؤرقة فـينام الصيـادون على ألواح ليـست بالدسـر ارتاحت للشطّ.

أسوق الورد للبحر

ما كنت أشغل بالبراح خواطرى
حتى أتانى البحر منسرباً من الشطآن ...
يقترض السفائن كى توصله ...
هو الآن ارتمى فى داخلى :
عشرون عاماً كنت أسكنه ...
فيصحو - فى الصباح - يصب ملح العين
فى الكأس العتيق
وأملأ البحر ابتهاجاً بافتضاحى للسماء ...
إذا تملَّت فى عيونى،
أقطف الورد الحرام، وأستحل مسامه
وأحادث الطير الذى صاحبته زمنا
وأعرف كيف صار الثغر سيفا ...

وابتسامة وردة :

جاءت على أولى السفائن وحدها.

والآن حانت لحظتى ...

كيما أوارى سوءَتى

وأروح للبحر المغيب كى نصلّى ...

أو نقيم علاقة بالوقت حين تمردت دقاته

وأعود أحفظ من قديمى مضغة ..

ألفت تعذبها.

ووشّمت الحوائط بالبدايات الرتيبة ...

والنهايات الكئيبة

مهراً أسافر فى طريق ضيق ...

نحو الورود الذابلة

من خبر الورد اشتياق البحر للمجداف ...

فى غير التلاطم

فارتمى بحراً ...

يسوق الورد للشط التليد ..

ويدّعى سبق الوصول ..

إلى المدى

هو ذا يعيد العمر أوله .. ولكن ..

من يجرد وردتى أشواكها ؟

فتكون غير قديمها

وأسجل الوشم الجديد

على حوائط حجرتى

ببداية جدت على قلبى

فمكَّن للنهاية مسلكاً مستحدثاً.

حلم

إذا القطر قبَّل ثغر المساء

وعاود قلب المحب عويل الشتاء

فلا تسلموا القلب أردية يشتهيها

فما عُوِّد القلب ...

لبس الرداء

ستهرب عبر عيونى الحكايا

وينساب در التذكر منها

على صفحة خضَّبتها التواريخ بالدمع

لألأة للبعيد

وسرك صار على الصدر أغنية

تصطفى ...

كى تسلى الصغار مع الأقدمين

فغيِّر فصولك قبل انبلاج الستار

وعوِّد سيوفك أن تنحنى للرياح .

(فعبس) ستبدو

إذا الكرب لاح

تلاحق فارسها المفتدى

هل جّرعت كأس المرار

على روح (عبلة) - مثلى - ؟

فأنكرت موت الصبية عن صبها

ورحت تعب - أسى - نخبها

قل لمن أمَّروك على مسرح العشق صباً :

سأكتب نص النهاية ... حبا

وأنكر أن الدماء التى لونتنى

تسير بأوردتى

وأبرئ منها القبائل ..- إن حان قتلى -

ستبكين يا عين أمى

إذا مات منى القصيد

وحطت رسائل شعرى على جبهة الأرض ثكلى

يوزعنى مُر حلقى على كل فم

فأنذر للأرض قولى

وأشهدكم عرس قلبى - إذا القلب صم -

وأخلع ما أبقت الريح عندى

وأبصر - إن حان قتلى -

عيونا ستفرح فى غيبتى

وتدفع مهرى

إلى القبر كى أستريح

وتمرح بعدى الطيور ...

إذا حلَّ فينا المسيح.

جنية الساقية

جنية .. فى ليلة الصيف القمىء ..

تسلقت صدر الحبيبة ..

ثم حطت خيلها فى شرفة النهدين ..

صالت .. واستخفَّت بالعيون

وأورثت فى القلب (دمًّا) كان ينقصه

فهل يحمر وجهى إن وطأت فؤادها ؟

كانت طواطمها تعمر نحر صبيتنا بأوشام الردي

أو (خمسة وخميسة) ...

كيما تصد جحيمها

ذكر الخفير حكاية :

أن الصبية تبتنى عشاً

بساقية الجراح

وأنها ألفت لدى النايات مطلبها....

ونادت فى فضاء الفجر كل بعيدة :

"يا فاتر الجفنين لملم حسنك الطاغى

ومرغ مقلتى فى إنسك الباغى"

جنية ليست ككل الجن يلعق طيفها.

لكن تخطت حد أغنية السكارى

صورت فى القد برجاً مائساً.

أو صورت فى العين بحراً ...

يستجيب لمدها .. وجزرها

"يا بؤس شعرى سيد الأشعار

لم يغننى عن ريقها الجارى ..

يا بؤس شعرى سيد الأشعار"

ما الفرق بين جراحها. ..

وجراح إنسىٍّ تلبلب - مجبراً -

صفصافة فى حجر ساقية تهدهد ساكنيها.

تسمع القاصى حذاء يحتذى أهل الحداد بحدوه

يا راضعاً ثدى السحاب إذا تكون نهدها

أبلغ سلامى للسحاب وللمطر

قل للبلاد إذا تزيّت بالجوى :

إن الغبى تجندلت أحلامه بين السحائب والقمر

وأصابه جمر التباريح احتوته قلامة الأيام ... حتى يحتضر..

قالت له امرأة عجوز :

يابنى الضم هواك بفاتنة.

خضّب كفوفك بالحمام

ولا توشم جبهة التاريخ بالطير الذبيح.

فأضحياتك لا تساوى غير دمعة حية ...

ذرفت على شفة الوطن ..

زوجتموها للذى طالت رجولته

سماء الله

فارتعشت عفاريت البسيطة كلها

لما رأته

عارياً ..

رجوع إلى باحة الحلم

توسدت قلبى ...

وأضرمت آخر أغنية للرحيل

فما ذاع صيت الحريق ،

ولا أشرك الليل بالظلمات

ولامات سرى على شفة الوقت بين البغاة

وما عاد يبكى علىَّ الخليل

كفى حجرتى مرقدى

والشوارع - من غدوتى ورواحى - تحن إلى مبعدى.

وأنا لا أميل إلىَّ

إذا خيرتنى الأنا أن أميل

***

سنون على قدها حكت ثوباً

يليق بكل الجهات، وكل الفصول.

وجُبت الموالد أنصب لى خيمة ·

تصطفى عارفاً بالخبايا

يحادث رمل الصحارى،

ويفتح مشكاته للحيارى

فيملأ جعبته بالعويل

وعدت إلي حضن أمى

تلملم شوك الدراويش منى

وتغرقنى بالحياة ...إذا اشتقت موتاً

يطهرنى من عناء طويل

هو النخل خلد ذكر البلاد بظلٍ ظليل

ولا يعتريه انحناء. فالريح ما تبتغى ...

ليس يعصم تمراً ذبول

وليست خيول الطفولة تصلح صهوتها للسفر

ولا عاد حلقى يجيد الصهيل

توسدت قلبى ... ونمت

فلاحت - على البعد - مئذنة .

وأبى لا يؤذن للفجر فوق رباها

ولى أخوة عذبونى صغيراً،

وألقوا قميصى فى الجب

فاستأنس العرى جسمى ...

ونمت

توسدت قلبى ... فلاحت سماء

ورفرف قلب

هوى من سجون "العزيز" الذليل .

عطسة

"هتسى" :

لماذا أصطلى بالعطس هذا اليوم ...

والطقس امتداد للمساء ؟

لربما قُدّت قميصى ...

فى المنام خواطرى

فاجتاحنى برد يخلف عطستى

ريح البلاد تكونت بأنوفنا

وعطستها وحدى

فارتد طرف الناس

يعبث بالقمامة

علّهم يجدون ناراً ...أو هوى

"ثقلت عليك مفاتنى".

وأنا المسيَّج بالدمامة

كيف تنطق.

والجنود مواثل ...

فى زيهم ؟

هذى همومك أثقلتنى

فاقتسمها بيننا .

واعطس إذا زادت

حتماً تحل عن الكلام

لدى الجنود

وعندها سأقول :

يرحمكم إله قادر .

نفثة مصدور

قد أفلح التاريخ حين دعاها

وتعلقت بكتابه ذكراها

هى نور فجر قد تجلى فى الدجى

وكست سراديب الهوى عيناها

لله در مخاتل يسعى لها

أيرى لنا وسط الدجنة فاها ؟

ماحظ شعرى دونها لو لم يكن

لقصيده مستمسكا بعراها

يحنى لها شيطانه رأس القصيدة

مغرقاً فى حبها يتباهى

للفجر فيها مسحة الصفو الصموت

وللنهار بها ضياء سناها

هى نفثة المصدور منى أننى

أطوى رحالى قاصداً لقياها

بحثوا لقلبى عن شبيه مثلها

وجد السعاة لغيرها أشباها

ياليل من أعطاك لون عيونها ؟

فكفاك واحدة تحار مداها

مازال بحثى للخيال مقيداً

حتى يحط على الطريق صداها

لسان قروى

لماذا نسافر كل صباح ...

ونرجع - حتما - بغير جناح

يعثر أقدامنا حجر يتنامى ..

ويصبح طودا ...

يفك الغمام ..

ويسبى الرياح

قريبا من الدار كان يغنى ..

بناى تولد فيه النوى ..

والمغيب

وللحزن (ستٌّ)

كما الحسن يملك (ستًّا)

تشاكس حلم الصغير ببالونة ..

ملؤها من هواه

قصيدة شعر،

ووجه صبوح

وكان الصغير يخالف أقرانه،

عندما يملأون الشوارع سيرا

ويجلس فوق التراب

يحادثه ...

ويسرُّ إليه

نشيد الحبيبة حين تغنى

يقايض بالعمر منه لقاء

يعيد إليه توازنه

وينير به قمراً؛

لا يصاحب شمس البسيطة

حين يود

الظهور

طريٌّ كنبت الحقول

يصوِّب للرحل أعينه

ويعيد حِكايته للنخيل

فملَّ النخيل الوقوف.

ومل الرماة.

فمال يحادث هذا الفتى

وتوسد ركبته

كى يفلى الجريدَ الصغيرَ

ويلقى إليه الوصية :

"أحبوا الذين يكنون كرها لكم"

ويَصلب حلم الفتى من جديد

تطالعنا صحف الصبح

أن الصغير تخطى الصعاب

وغافل سن الزمان

وتأخذه للمدينة باخرة

لا تقل سوى الليل داخلها

فيصاحبه.

ويعلمه كيف يهرب ..

نحو المحال

ويخرج للنور ..

ترمد عيناه من طبقة الموت

فى قرية غابرة

يعاود حلماً جديدا

فيصلب كيما يكفِّر عنا

خطيئاتنا

قروى يجابه صمت العيون

ويكتب فوق رباه :

"أريد حبيباً"

تولد ألف أنيس

يودون نزع البقية فيه

يسيمونه همهمات السكارى

يدق النهار بآياته.

ويعيد حكاية

حب جديد

ومن يسمع اليوم منه ؟

تراب المدينة

يشكو العذاب

ويقسم ألا يعيد إليه الحكايا

وحب جديد

يؤرق هذا الفتى

***

بمزلاجها الخشبى توارب

باب الدخول

وتكتب لافتة :

"لا دخول لمن ينطق الجيم(1) جيماً"

- يعطشها -

فيقيم ضريح السكوت

ويختلس السير ...

نحو الظلام

يوارى به سوءة الحب

فى زمن

يستحيل الحلاوة مراً

ويمنعنى أن أخشّ إليها

فأدعو إلهى يفك لسانى

وأنطق جيما ... فيأبى لسانى

وأمنع رؤيتها.

(١) جيم أهل المدن وهى فى اللغة الفارسية گـ

رحلة نيلية

أفراس طيبة ...

تزعج الهكسوس فى نوم الخلود

وترفع الأصوات

ساعة نومها العادى

وللنيل احتضان الأفق حين يزجنا

صوب الجنون

بنسمة نوبية

فنعاكس التيار ...

لا نخشى الجنادل والرياح ...

نمر فى ثقب التذكر ...

للبلاد المتعبة

من يخرق الفلك التى ...

تشتاق فذا ...

يأخذ الأرزاق غصباً ،

ويريحنا من مرفأ الأحلامُ ..

والوطن المسيَّج بالغيوم

(آية الكرسى) تصد ضراوة الملك العنيد ؟

وتمعن الإبعاد فى نيل جديد ...

يستوى فيه الذهاب ...

مع الإياب

ولا يعوق مياهه شصُّ الولاية ..

والملوك المترفون

النيل ينبض بالخريف ...

فأيقظوا أوراقه

كى تكتب السفن المحملة التى

مرت على صفحاته

وسفينة الأحياء مازالت تراود نفسها

عن نفسها

فيها بهيج كل زوج

مرت على بلد

يزاوج أهله الإشراق للإظلام

رحت سألته

فأجابنا بالصمت ثم استاء ...

من نظراتنا

وسألته عن نسوة يغسلن

(دمَّ) الحيض فى بئر القبيلة ...

فاستوى ... ثم ارتمى فى

داخلى :

"اسكت" .....

....

....

فتلك زليخة الملك

"العزيز"

و (دمها) طهر يراق

على (اليواسف)

كى يباوم. أويلايل رفضهم ..

وسألته زرع الرجال ...

وحصدهم نفس النبات

نسيت أن الروح قد رد الجواب

لسيدى ...

وسألته ... وسألته ...

وسألتنى :

أترى يجيء الوحى بعد غيابه ؟

ومن المدثرنى

إذا النيل احتمى بمداخلى ؟

خليك فى قاع السفينة

قاعدا

ملك الشطوط أصابه الداء

اللعين ...

فراح يلقى حمله

ووزيره يشتاق كأساً ..

لا يفارقه المعتق ....

والبضاضة دربه

عفوا تغيَّر فى المسير

مسالكى

فسفينة الأحياء تأخذ دربها

نحو

البواليع

التى

بالقاهرة.

للنوارس موت آخر

البحر يسأل ديدبان مياهه ..

عن نورس كان انتهاء بالزبد ...

فيجيبه - والدمع ملء المقلتين - !

تفتتت أوصاله، والدود ينهش فى البقية

من علم الدود امتصاص المستحيل ؟.

ومن يساوم (ألف ليلة) كى تعود

وفى يديها خاتم .. وزبرجد ؟

هل (شهر زاد) تملصت، وتخلصت من وهمها ؟

يا سادتى .. كان اسمها شهراً ..

وزادت ألف ليلة ،

وانتمت لليل كى تستحدث الذكرى ..

وتجنح خلف أستار الظلام ...

وتنتشى فى غيّها ... وهى امرأه..

تستطيع أن تحمى بلاداً بين نهديها ..

ويوجد مخبأ ما بين عينيها وبين ...

أباحت الفجوات فى أوصالها

فهى امرأة ..

والبحر كانا يستحمان الهوينىٰ .. مٰازحه -

وانتابها أمل تفض العقد

فانتبذت مكانا قصياً

بالت .. فكان البحر طعماً آخراً

وتوضأت بالرجس أحلام العشيرة

دق الجدار ولاحت الأنواء من قسماته

مازال كل ملوكنا من (شهريار) إلى (الرشيد)

يبايعون لها الولاية

فانتقت سجن العزيز لكى ترمه

هى الأنثى. ويوسف كان صدِّيقا نبيا

أفردت فوق الغمام رداءها

وتعلقت من ثوبها حين استراحت فى المدى

هل كان يوسف - مثلنا - يهوى النعاج، ويستحى ؟

أم أنه ذاق العذاب لأنه رفض الولوج

إلى القصيدة ؟

كانها .. ما كانته

مادت على الجدران أسقفها ..

وما مالت لها الجدران ..

لا ياقاتلى .. فالأمنيات تسربت

وتوسمت فىَّ المهيض

ففارقت من مفرقى حتى القدم

هذى القصيدة تستحم

فمن سواك

يبيح لى أوصالها ؟

وعدَ النجومَ فأخلفت

النمل يزحف فى شراييني

فخلّى بيننا من سكر الماضى قليلاً ...

ثم ذوبى فى جراحى

فالمرارة تسفح الذكرى (بدمى)

حين شبّت مقلتى عن طوقها

أبصرتُ جنات لها سور،

ولكن حين قابلنى رفيقى

كان يمسك دفتراً عن جنة أخرى

فأخبرت الرفيق عن المنام ..

ففضنى .. واستغرب الرؤيا

جنات ربك - صاحبى - ماسوِّرت قبلا

عاودت نومى فى المساء

ورحت أزحف نحو جنات المساء المنتهى

وتسلقت عينى حواجزها

هنا : حور غسلن جنابة

وجلسن يمشطن المساء ويستلبن نجومه .

وأنا المهيأ لاستلاب مفاتنى.

وموزع بين النجوم وبين أجساد ..

تعرت فى منامى

فاتركينى أكمل الأحلام يا أمى ..

تصر وليس لى حق الإعادة

صبٌ أنا مثل القدامى ...

والقضية أننى أعد النجوم ...

بأن أحب سميَّها

فى "الكَفر" يقتلنى كثير الأسئلة ...

هذا الضياء الشاحب النوّام يقتلنى

ويمعن فى تجنيه ؟

وهذى البنت تسكننى، وأرجو أن أحادثها،

فيأبى منطق الريف الإبانة ..

ربما قمصان نوم لا تعلق فى مخيلتى

وأبصر شرفة البنت الجديدة

قد تجلت بالملابس والعطور القيّمة

واليوم يوم المرحمة

مدى جناحك يا شريدة إننى وله

بتزويق المحبة فى لسانى

فاستردى قلبك النعسان فىّ

فما أفاق الدهر من طول التمادى

والظلام المستقر بمقلتى

يمحو مفاتنها

ويشعل صورة الأهل الكرام

التاركين على فتاهم حظهم

وتنام قريتنا على قلبى

وأبحر فى ضباب الأرض عصفوراً شريداً ..

يلقم الحبات من حصد السماء

فتصطفينى للرسالة دون أهلى

هل يحظ الشعر في "الأرض الخراب" ؟
وأغنيات اللحد كيف أصوغها
نسقا ... مواتي كل يومٍ
في طريق عبّدوه على بقايا جثتي.
هي سورة "النور" ابتدأت اليوم أحفظ بدءها
لكن ظلي في المساء ينام فوق دفاتري الثكلى
فأبحر نحو ماء ..
لن يزيل اليوم طهراً من دمي
أمي التي عُلِّمت منها أن أقاوم.
لم تدعني في اغترابي واحدا
لا تجعليني في القصيدة - يا حبيبة - ملهما -
أو تحتويني في رحابك سنبلاتٍ من وجع
فالسكر الحلو الجلي مراً
بدمك يا حبيبة.
والعلاقم أخرجتك من الحياة أميرة
فلتلبسي تاجي قليلاً.
وامرحي أني أردت

فليس غيرك يملك الدنيا بشاعرك الحبيب

ويا حبيبة جهزى .. سفرى ،

وأمتعتى لعلى قد أعود

أسابق الدنيا وأسبقها

وأرجع للعصافير الغناء ...

فتستريحى من عنائك فى السفر

حتما يعود إليك وخذ تجاهل الدنيا لقلبى،

واحتراق قصائدى،

وأقص ما تحكى المدينة عن فتاها ...

حين أشعل وجده بقصيدة

هى روحه فوق الورق

مقهى يسافر فى المساء إلى تطلع وحدتى

نرجيلّة قبلتها

فأقام صدرى أول الأيام ثورته

و "إسماعيل"* .. صاحبنى

ليدفع دائما - ثمن الشراب .

كما تعود أن يضايفنى ،

ويسلبني بلوحات ...

تمارس الألوان فيها

صحبة الوجع الجميل بها

وأسمع - من بعيد- غنوة "للشاذلي"**

. تهزني

"عسل شفاهك واليدان" ***

فأروح أسكر في شفاه حبيبتي،

لما أقبلها بقلبي من قديم .. ياا ...ه

كانت تسائلني إذا اسودت جفوني

عن معانٍ للسهر،

فأعدد الأسباب :

من أجل القصيدة ...

أو مذاكرة،

وتفكيراً بحبي

كنت - حقا - لا أجيد الحق إلا مرة

فتموت غيظاً أن جفني لم يكن وقفاً لها

، وتمر ساعات المقاهي في صخب

الليل أحسده كثيراً فى المدينة
أنه أنس الضجيج، وصاحب السمَّار
رغم تغيبى
أستأذن الأصحاب فى وقت العشاء
لكى أصلى ركعتين ...
- فبالمدينة كل شىء قد تقلص،
والمآذن تسرق الأنظار من عين البشر،
وكذا الحوانيت التى يشدو بها
ضوء النيون
تزين التمثال بالزى الجميل ...
ووحدنا نمشى على مهل ..
وقد زاغت بنا الأبصار
فى شرفاتها - تلك المدينة -
ربما شىء جديد قد يضاف إلى مدينتنا
ونسمع - خلسة - نق الضفادع والكلاب العاوية
حتما أعود إلى الوراء ...
وكلب جارتنا يعلم فى قميصى، أو بفخذى

رغم أنى - دائما - أخشى الكلاب وأنتحى من دربها

فى يومها ...

قام الشجار بحدة

ثم انتهى برباطه .

لما مررت بكلب جارتنا، رأيت ضموره

فقسمت أكلى بينه ،

ورجعت فى عهدى !

وذلك أننى إمَّا مررت عليه

أخرج - فى تباهٍ - من لسانى نصفه.

كانت "لإحسان" مزايا عدة

إحسان - حسبك - لم تكن غجرية، وفقط

ولكن قدَّها ينبى بمعجزة ستحدث ذات يوم

عندما يهتز فى أرض التقى

وأبى تعوَّد - من قديم - أن يحملق جيداً،

وكذا تحملنا وراثات الجدود

فكنت أطلق مقلتى لمساء أغنية

تغنيها لنا غجرية الوادى

الليل صاحبنى فأثقلنى حمولا

من سواد لا يزال مسامرى

كان المساء إذا أتى ...

أتصيد الأحلام - قسراً - قبل معرقة الغجر

صاحبت - يوما "ابنهم"

ولعبت بالكرة - التى فى حوزتى - معه

فكان ينام فى ركن كثيراً ...

ثم يبدأ بعد نومته سؤالى فى رغيف

سوف أسرقه ..

لأنى كل يوم أصطفيه بلعبتى،

أمى تعنفنى كثيراً أننى صاحبته ،

وتصر أن تمحو الرزايا من على جسدى ،

فأقبل - مرغما -

لما أتاه الموت ...

غنت أمه الصماء "للأطرش"

"يا حبايبى يا غالين" ...

وقل شجارها

لكننى مازلت أبحث عن صديق

يأخذ الخبز الذى يربو على صدر الإناء ..

وتترك الفئران فيه بعرها

جيراننا كانوا كثيرا يقتلون مساءهم

بمنامهم

إنى لأعرفهم إذا فرحوا ...

وأعرفهم إذا حزنوا ..

صفحاتهم مفتوحة فى داخلى

شىء غريب جال فى ذكراىَ هذا اليوم :

أن نوافذا كانت تسد بأسهم

من معدن متوحد فى زِيِّه ... ؟

لما رأيت سجونهم

أيقنت أن براحهم سجن

وعيونهم أسر ...

وقلوبهم غُلفٌ ...

وأن مدينتى

بيت "لأفلاطون" يحيا فى رباه

أنا لن أسامح مقلتى ...

لما تملّت فى عيون البنت .. يوماً ..

فابتدأت بجاحتى ..

وتركت قلبى مثلما يهوى

فحط رحاله فى أرضها شعرا ...

هو الشعر ... القتيل .. القاتل .. الحيران ..

بينى وانتظام قصائدى في عقدها

علمتنى - يا قاتلى -

أن أمسك الدنيا بكفىَّ

لا أبالى بالنوائب ... و حدها

ورميتنى - يا شعر - بالعشق القديم

وكان حضنى - دائما - مفتوحة أبوابه

أهوى كثيراً ...

فالهوى ملكى

وقلبى قبرات تستقل الريح

نحو محبة مستحدثة

وكثيرة مرات حزنى

في المحبة

- والهوى ملكى -

فكيف سيطعن الأحباب ظهرى ... ؟

- والهوى ملكى -

وذقت حرارة الأشواق

من دمعى طويلا

فاصطفانى البحر

ميراثا من الملح الأجاج

ووردّت عينى

لذاك الأبيض المتوسط الأشواق

والأملاح ... والذكرى ... ؟

كثيرا كنت أقتلها

فتبعثنى - سدى - جبانةٌ

أعددتها

لقصائدى

ومحبتى مثوى ...

وجمّيز الطريق يسائل الشعراء

عن معنى الخلود.

ويحفر التاريخ قبرى

فى المساء

فهل أعود لعشقها

وأخالف الأحلام

في نوم القصيدة ؟!

هامش :

* إسماعيل غريب: فنان تشكيلى صديق

** محمد الشاذلى: مطرب صديق

*** من قصيدة لمحمود درويش

مقاطع

١- من سواد الريف

اطرح رغيفك فوق عرصة فرننا

ولتنتظر ...

حتى تجيئك مطرحة

كل النساء تصر للأزواج بعض غذائهم

ومداخن الأفران دفء شدنا

فلترتخ

جنب المليحة لحظة

فلعلها تعطيك خبزاً صابحا

ولعلها ...

تشتاق دفء الفرن فى أوصالها

فتكون أقرب فاجر

رفض المروق

مقلباً بخبيزها .

٢- مرارة

إن طعمت الخبز مراً فانتظرني

ربما يغدو لساني

مصنع المر الجديد

٣- كلام الليل

عند المساء ..

يجمع العشاق وجدهمُ

وحين رحيلهم ...

ينسون سمن كلامهم

الشمس تفرد ظلها...

عند الصباح.

٤- توأم

ليت أمى أنجبتنى

مرتين !

مرة أحيا لنفسى،

مرة أفدى الحسين .

حتما أميل إليك

قلبى سبيل المتعبين ...

ولا يجاهر بالتعب

مر الصباح ولا يزال مُمدَّدا فيه الندى

يستوقف الماشين يسألهم إذا ضاقوا

فخيمته مدى يسع المدى

فض اصطبارى نومه

والليل يمهر مقلتى بدراً ..

تحلل من شموس الكون

فابتدأ التسرب من ليالى العشق ...

والعشاق ... هل ضاعوا سدى ؟!

أوَّاه يا قمر ..



تحط يمامة بيضاء فوق الشعر .. تونعه

وترحل فى المغيب

تشيِّع الأحباب مثواهم ...

وترجع توقد القنديل فيك بجمرهم .

إنى امتلأت بنورك الخداع يا قمرى

وبت الليل أسألنى ... !

فأرفض أن أجيب

وكلما علقت قلبى فى مشاجب من أحب

تميد بالقلب المشاجب فى الغياب

وأحفظ الآن التضاريس القديمة للهوى

والصيف .. ماودعته حين انتبهت

إلى ضيائك فى الوطن

لا الصيف عاد يحبنى

ويرتق البرد المخلف من شتاء لم يحن

أنت الذى وسدتنى رمل الشطوط .

وصغت لى منها أسى

راح الشتاء. وقد برانى قيده

فتوزع الشط السفن

لاصيف يأتى أو شتاء عندنا

"فيروز" غنت فانتشى طفل المدينة -

بالمحبة فى الفصول جميعها

وابتاع للقلب ارتعاشاً

من شتاء للمحن

رحل الشتاء .. ولم يعد

"والصيف ضيعت اللبن"

هذى نوافذك القديمة - مثلنا - صدأت

وراح بهاؤها

فافتح بماء الوصل ماسد الرحيل،

وعاود السهر الحلال، وناجنى

حتما أحبك ..

يا وطن .

المحتويات

الإهداء ٥
اختناق القمر ٧
غربة ١١
من سرير الأرض ١٥
انشغال ١٩
نزال ٢١
فى السوق ٢٣
أسوق الورد للبحر ٢٥
حلم ٢٩
جنِّية الساقية ٣٣
رجوع إلى باحة الحلم ٣٧
عطسة ٤١
نفثة مصدور ٤٣
لسان قروى ٤٥
رحلة نيلية ٥١
للنوارس موت آخر ٥٧
وعد النجوم فأخلفت ٦١
مقاطع ٧٥
حتما أميل إليك ٧٩

صدر مؤخرا من هذه السلسلة

٦٢- فانتازيا الرجولة.............................. محمود خير الله
٦٣- غناوى من كتاب العشق .... مختار عبد الفتاح
٦٤- طعم الوجع.. ابراهيم عطية
٦٥- الحياة.. الحب.. الموت.. الحياة.................. ناهد السيد
٦٦- لأرملتي يبوح الورد .... عادل البطوسى
٦٧ - رائحة الخوخ .... محمد عبد الواحد
٦٨- من أجل سحابة .... أمل جمال
٦٩- الحكروب .... عصام راسم فهمى
٧٠- مكابدة الاسطنهى .... ربيع عبد الرازق
٧١- أحيانا لا أكون ميتا .... أشرف حسن
٧٢- حديقة الذكريات................................ حسين أحمد إسماعيل
٧٣- امرأة تلد رجلاً يشبهك .... عزة سلطان
٧٤- قيامة الأعضاء .... مصطفى فتحى
٧٥- عزاف النار.. العربى عبد الوهاب
٧٦- بنحب موت الحياة.. عزت إبراهيم
٧٧- الأطفال يولدون نياما .... حمدى عبد الرازق
٧٨- يرجع العاديون مكبلين بالياسمين .... وسام جلال الدويك

٧٩- غادة الأساطير الحالمة .... محمد العشرى
٨٠- أصداء التراتيل الصامتة.......................... محمود قنديل
٨١ - بماذا تبوح الجداول للبحر .... على الدكرورى
٨٢- يحدث .... عبد الحفيظ طايل
٨٣- أزمنة الآخرين .... محمد صالح البحر
٨٤- حروف ونقط دم .... فتحي البريشى
٨٥- هفهفات النخيل .... ماهر مهران
٨٦- الميل شرقاً .... محمد رفاعى
٨٧- بلا ثمن .... عبد الحكيم محمود
٨٨- ميت خيال .... طارق هاشم
٨٩- ولد عفريت تؤرقه البلاد .... محسن عبد العزيز
٩٠- مشاعر عبيطة .... محمد البرعى عبد الصمد
٩١- تفاصيل .... محمود حسن حماد
٩٢- أحلام فقيرة .... صلاح مطر
٩٣ - القطة العميا .... حسام العقدة
٩٤- حامل الراية .... إيهاب دكرورى
٩٥- الفوارس .... محمد نجار الفارسى
٩٦- كراكيب .... سيدة فاروق
٩٧- شرنقات .... طاهر سعيد
٩٨- الفتاة والفرس .... ممدوح عبد الستار

٩٩- أيها القط العجوز الذى بجوارى .... أحمد سامى خاطر
١٠٠- باش أغا .... محمد رمضان
١٠١- بدويات .... السيد أحمد حمزة
١٠٢- دم العصفور .... أحمد رجب شلتوت
١٠٣- ترتيلة بكا .... سمير سعدى
١٠٤- ورد الشتاء.................................... أشرف الخريبى
١٠٥- التشكيل .... حسن مصطفى راضى
١٠٦- مضطر اعيش .... إبراهيم حامد
١٠٧ - التوهم .... وائل فوزى
١٠٨- أصوات خارج الدايرة .... محمد طاهر برعى
١٠٩- خرق الصفات .... عبد الناصر حنفى صادق
١١٠- اسمه المدى .... شهاب عماشة
١١١- ذات قصيدة .... النوبى عبد الراضى
١١٢- للنوارس موت آخر .... ابراهيم منصور

تعتذر السلسلة عن استقبال أى مخطوطات جديدة
لحين الانتهاء من نشر الأعمال المجازة

قسيمة اشتراك

إصدارات الهيئة العامة لقصور الثقافة

الاســـــم : ....

العنـــــوان : ....

رقم التليفــــون : ....

حوالة بريدية رقم : .... باسم الهيئة العامة لقصور الثقافة بمبلغ :..........

التوقيع :

م	اسم السلسلة	موعد الاصدار	قيمة الاشتراك ٦ أشهر		قيمة الاشتراك سنة كاملة	
١	أصـــوات أدبيــــة	نصف شهرية	١٢		٢٤	
٢	إبــداعـــــات	نصف شهرية	٦		١٢	
٣	كـتـابات نـقـديـة	شـــهـــرية	١٢		٢٤	
٤	آفـاق الـتـرجـمـة	شـــهـــرية	١٢		٢٤	
٥	آفــاق الكتــابة	شـــهـــرية	٦		١٢	
٦	الـذخــــائـر	شـــهـــرية	٣٠		٦٠	
٧	ذاكــرة الكتــابة	شـــهـــرية	١٨		٣٦	
٨	مطبـوعـات الهـيئـة	شـــهـــرية	١٢		٢٤	
٩	الدراسـات الشـعـبـيـة	شـــهـــرية	١٢		٢٤	
١٠	عين صــقــر	شـــهـــرية	٦		١٢	
١١	مجلة الثقافة الجديدة	شـــهـــرية	٦		١٢	
١٢	مـجلة قطر الندى	نصف شهرية	١٦		٣٢	
١٣	مـجلة آفـاق المسـرح	فـصليـة	٤		٨	
١٤	آفـاق الفن التـشكيلى	شـــهـــرية	٢٤		٤٨	
١٥	الجـــوائـز	شـــهـــرية	٦		١٢	
١٦	آفـاق السـينمـا	فـصليـة	١٨		٣٦	

ضع علامة (✓) أمام السلاسل التى تريد الاشتراك فيها فى المربع الخاص بمدة ستة أشهر أو سنة كاملة

ترسل على عنوان الهيئة العامة : ١٦ أ ش أمين سامى – قصر العينى – القاهرة

ت : ٣٥٦٤٨٤١ – ٣٥٦٤٨٤٢ – فاكس : ٣٥٦٤٢٠٢

الرقم البريدى : ١١٥٦٢

رقم الإيداع : ٧٣٦٢/ ٢٠٠٠

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقا)